بعض آليات التحليل الدلالي عند الراغب الأصفهاني
المفردات في كتاب غريب القرآن

عادل محمد يوسف الناجم *

الملخّص

يتناول البحث قضيّة لغويّة تتعلّق بحركيّة الألفاظ وتغيّر معانيها انطلاقاً من السياقات التي ترد فيها، وتعدّ قضيّة المعنى من القضايا الشائكة التي تناولتها الدراسات اللغوية عند كثير من الأمم السابقة، ويضطلع التراث العربي بدراسات عميقة في هذا الجانب؛ كانت نتاج الارتباط الوثيق بين: اللغة، والقرآن الكريم. ويُعدّ كتاب الراغب الأصفهاني من الكتب الرائدة التي اهتمّت بمعاني الألفاظ كما وردت في سياقاتها في القرآن الكريم، ويُعدّ موضوعه من الدراسات المميّزة في مجالها والمتفرّدة في موضوعها، حيث حاول المؤلّف الجمع بين معاني المفردة الواحدة في سياقاتها المختلفة بتتبع مواضع ورودها وتصريفاتها، ثمّ النظر في ما إذا كانت اللفظة تحمل المعنى نفسه في سياقاتها، أم تغيّر معناها بتغيّر السياقات والتصريفات، مشيراً في غير موضع إلى البعد التداولي لها.

تأتي هذه الدراسة محاولةً للكشف عن نهج الأصفهاني في كتابه، انطلاقاً من الدراسات اللغوية الحديثة في هذا المجال، التي قد تساعدنا في استشراف بعض الآليات التي استخدمها الأصفهاني، للوصول إلى مراده وجمع متفرّقات موضوعه، مستخدمين بعض النظريّات الدلالية الحديثة التي اهتمّت بدراسة ظاهرة التغيّر الدلالي للمفردات في سياقاتها أو خارجها.

تمّ تقسيم البحث إلى فقرات تخدم الموضوع وتساعد على الإلمام بقضاياه، وبما أنّ الدراسة اتّبعت المنهج الوصفيّ التحليليّ فإنّ العناوين جاءت وفق ما تقتضيه الدراسة، فهي عناوين فرضها الموضوع، ولم يتمّ فرضها على الموضوع من الخارج.

المقدّمة:

يُمثّل كتاب الراغب الأصفهاني ملمحاً بارزاً في الدراسات اللغوية العربية، من حيث تناوله دلالة مفردات القرآن الكريم، ويظهر تفرّد الكتاب في النهج الذي خطّه الأصفهاني لنفسه في تناول المفردات، فهو يتناول جذر الكلمات بتتبعها كما وردت في الآيات القرآنية، فيقوم بإيراد الكلمات التي تتفق في جذرها ويجمعها في موضع واحد، وقد اتّبع في معجمه هذا طريقة معاجم اللغة، فرتّب معجمه على ترتيبها (الألف بائي)، وممّا دعا الأصفهاني إلى وضع معجمه هذا تفطّنه للدور الذي تقوم به مفردات اللغة في فهم آيات القرآن الكريم، حيث ذكر في مقدمة كتابه:" وذكرت أنّ أوّل ما يحتاج أنْ يُشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة"[1] يرى الأصفهاني أنّ الألفاظ المفردة هي السبيل لفـهم كتـاب الله تعالى، وأنّ ألفاظ القرآن الكريم ومشتقاتها هي اللبّ من الكلمات وغيرها كالقشور، وبغض النظر عمّا ذهب إليه من آراء فإنّ معجمه (المفردات في غريب القرآن) من بين معاجم اللغة المهمّة التي لا يستغني عنه باحث في مجاله، ولم يحظَ الكتاب بحسب اطلاعي بدراسة تُبيّن الآليات التي

* عضو هيئة التدريس بكلية الاداب ـ جامعة سبها

استخدمها الأصفهاني في تناول دلالة الكلمات، وكيف تمّ له التوفيق بين دلالة الكلمة في مواضع مختلفة من آيات القرآن الكريم بواسطة محاولته وجود روابط دلالية لها.

يتناول هذا المعجم من جهة أخرى الألفاظ في حركيّتها، فهو لا يتناول المفردات التي وردت في القرآن الكريم مجرّدة، بل يورد تلك الألفاظ في سياقاتها القرآنية التي وردت فيها، ثُمّ يحاول الربط بين دلالة الألفاظ في الآيات، وهي من النقاط المهمّة في تناول دلالة الألفاظ، فالسياقات التي ترد فيها الكلمات تزيد في كثير من الأحيان في توضيح دلالتها من ناحية، وتضعنا أمام البعد التداولي للنص من ناحية أخرى، ففي بعض الآيات القرآنية تتعلّق دلالة الكلمات بأحكام فقهية أو عَقديّة, وهو ما يؤشّر على بعدها التداولي. إضافة إلى ما تقدّم فإنّ دلالة الألفاظ من المباحث المهمة في الدرس اللغوي الحديث، وقد بدا الاهتمام بالدلالة اللفظية في الدرس اللغوي العربي في بعض الدراسات النظريّة، مثل دراسات كلّ من: الدكتور إبراهيم أنيس، والدكتور حلمي خليل، والدكتور كمال بشر، في حين أنّ الدراسات التي تناولت معاجم اللغة اهتمّت في معظمها بالمنهج المتبَّع أو بالدراسات الصوتية والصرفية، ولكنها لم تتعرّض في ما اطلعت على الآليات الدلالية التي اعتمدها المعجميون في أبحاثهم اللفظية؛ ويبدو أنّ السبب في ذلك هو أنّ المعجميين لم يعتمدوا غالباً السياق منطلقاً لدراساتهم، وإنما كان معتمدهم الكلمات مجرّدة من السياقات، ثُمّ محاولة سوْق أدلّة على دلالة الكلمة بأمثلة مجرّدة من سياقاتها، ويُشير بعض الباحثين في الدرس اللغوي إلى أنّ الألفاظ في المعاجم هي قائمة من المعاني، ومن ثَمّ فلا دوْر لها في البحث اللغوي إلا حين تظهر في سياقاتها التواصلية.

تقع هذه الدراسة لمعجم المفردات في سياق بيان وتشخيص بعض الآليات التي استخدمها الأصفهاني في الكشف عن دلالة الألفاظ، ومحاولة ربطها مع بعض النظريات في الدرس الدلالي المعجمي الحديث، من حيث بيان الكيفية التي تتغيّر وفقها دلالة الألفاظ في السياقات المختلفة، إذ يُلاحظ أنّ التغيّر الدلالي للكلمات في السياق غير واضح، أحياناً، ما دعا الأصفهاني إلى وضع معجمه لبيانه؛ وهو، أيضاً، ما يُفسّر صعوبة تتبع التغيّر الدلالي للكلمات في السياقات الواردة فيها، ويُعدّ المجاز والاستعارة من أكثر وسائل التغيّر الدلالي استخداماً، غير أنّ هاتين الوسيلتين يتمّ استخدامهما، غالباً، بشكل قصدي، وقد لقي كلّ منهما عناية من كثير من الباحثين؛ ولذلك لن يتمّ الوقوف عندهما في هذه الدراسة، وتبقى بعض آليات التغيّر الدلالي الأخرى التي يمكن ملاحظة دورها الفاعل في اللغة من غير أنْ تلقى كبير عناية من الدارسين، وهي وسائل لا تخضع في كثير من الأحيان لقصديّة المستخدمين كما في النوع الأوّل، ويعتمد بيان هذا النوع من التغيّر، في كثير من الأحيان، على حدس الباحثين في اللغة للتنبؤ به، ممّا يجعلنا نتساءل عن مدى المشروعيّة العلمية لهذا النوع من التحليل اللغوي، إضافة إلى أنّ حدود ظاهرة التغيّر الدلالي للكلمات يكتنفها بعض الغموض، ويمكن أنْ نطرح في هذا السياق التساؤل التالي: هل يمكن أنْ نطلق على كلّ استعمال جديد للكلمة تغيّراً دلالياً؟ أو بمعنى آخر: هل كلّ سياق جديد ترِد فيه الكلمة يعني تغيّراً دلالياً للكلمة؟ في هذا السياق تأتي أهميّة هذه الدراسة، فهي تسعى إلى تتبع هذه الظواهر والتفريق بينها عملياً لا نظريّاً، فالدراسة تعتمد السياق الذي تظهر فيه الكلمات؛ لأنّ الأصفهاني اعتمد نهجاً يذكر فيه السياق الذي وردت فيه الكلمات، ومن ثَمّ كان السياق من الأسس المهمة في هذه الدراسة، فيُصبح الاهتمام بالألفاظ في هذه الدراسة وهي ألفاظ بالفعل، لا كونها ألفاظاً بالقوّة كما تظهر في معاجم اللغة. وجاء تقسيم فقرات البحث من خلال الظواهر

التي تمّ تناولها في المعجم. فلم يأتِ التقسيم سابقاً للدراسة عن طريق إسقاط بعض التقسيمات للدلالة الحديثة على الدراسة، بقدر ما كان موازياً لها صادراً عن الظواهر التي احتواها المعجم.

**** معرفة العالم• والدلالة اللفظية:**

تشكل معرفة العالم جزءاً من المعرفة اللغوية التي يجب أنْ يلمّ بها محلل اللغة، فالعوالم الممكنة تضطلع بدور بارز في عملية الفهم الدلالي وتوجيهه. حيث يحتاج البحث اللغوي إلى بعض المعارف التي تُعين على فهم ما يرِد في النصوص، وقد طرح جاكيندوف في نظرية علم الدلالة المفاهيمي تمييزاً في الاستعمال بين المعرفة اللغوية ومعرفة العالم[2]، وممّا جاء في كتاب الأصفهاني معتمداً على العوالم الممكنة. ما ورد في تناول كلمة (البعث) لغوياً، فقد أشار الأصفهاني إلى أنّ " أصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه يقال بعثته فانبعث"[3]، ثُمّ أردف الدلالة اللغوية لكلمة (البعث) بالحديث عــن أثر السيــاق على دلالة الكلمة متمثّلاً في عنــصر التضام، يقول الأصفهاني:" يختلف البعث بحسب اختلاف ما علّق به فبعثت البعير, أثرته وسيّرته"[4]، ثُمّ يُفرّق بين دلالة البعث المتعلّق بالبشر، ودلالة البعث الإلهي المرتبط بالله سبحانه وتعالى، يقول:" فالبعث ضربان: بشري كبعث البعير وبعث الإنسان في حاجة، وإلهي وذلك ضربان: أحدهما إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع عن ليس وذلك يختص به الباري تعالى ولم يقدر عليه أحداً. والثاني إحياء الموتى، وقد خَصّ بذلك بعض أوليائه كعيسى[عليه السلام] وأمثاله"[5]. نلاحظ في هذه الفقرة اهتمام الأصفهاني بالتفريق بين (عالَميْن) تُستخدم فيهما دلالة (البعث) بطريقتين مختلفتين. مع أنّ الاختلاف في استخدام الكلمة يتعلّق بالسياقات التي ترِد فيها، إذ لم تتغيّر دلالة كلمة (البعث)، فدلالــة كلمة (البعث) فــي الأصل، كما ذكر الأصفهاني، هــي: إثارة الشــيء. ولا فــرق في ذلــك من ناحية دلاليــة بيــن: أ ـ إحياء الموتى، بوصفهم أشياء ثابتة تتمّ إثارتها من قبــل الله، سبحانه وتعــالى، أو من قبل أحد أوليائه، كما أشار الأصفهاني. ب ـ بعْثُ البعير أو غيره. بوصفه أيضاً شيئاً ثابتاً تتمّ إثارته. ويمكن توْضيح ذلك بالشكل التالي:

البعير: ثابت. بعْثُه: إثارته. عالم الإنسان.

الميّت: ثابت. بعْثُه: إثارته. عالم الألوهية.

وعليْه فإنّ دلالة كلمة (بعث) واحدة ولم يحصل فيها تغيير، والاختلاف في المبعوث؛ ولهذا السبب يبدو أنّ الأصفهاني لم يصرّح بوجود استعارة أو مجاز في استخدامات كلمة (بعث) المختلفة.

إنّ عملية نقل دلالة كلمة (البعث) من عالم الإنسان إلى عالم الألوهية خاضع لتصنيف المتلقّين ومعارفهم، وتلك المعارف هي التي تمكّنهم من التمييز بين العالَمَيْن، وهذا عامل خارج لغوي (معرفي)؛ ولذلك نجد الأصفهاني لجأ بداية إلى التفريق بين ما هو بشريّ وما هو إلهي. لكن ما الطريقة التي تجعل لدى المتلقين القدرة على التمييز بين الدلالتين؟ يتمثّل ذلك فيما يُطلِق عليه اللغويون (معرفة العوالم) وهو مصطلح يُعنى بمعرفة المتلقين بتنوّع العوالم التي قد يُدركها الإنسان، مثل التفريق بين (عالم الواقع), و (عالم الأسطورة) مثلاً، إذ لكلّ عالم خصائصه وسياقاته. إضافة إلى أنّ السياق اللغوي قد يُساعد على هذا التمييز ويعمل على تعزيز التفريق وتقويته. فبواسطة معرفة السياق الذي وردت فيه كلمة (بعث) يمكن التعرّف على العالَم الذي تنتمي إليه، وهو ما يُحدِّد دلالة الكلمة بوضوح، ففي قوله تعالى : (وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُم اللهُ) (سورة: الأنعام، من الآية: 36). نجد البعث مرتبطاً بالموت. وهذا الاقتران بين الكلمتين (التضــام) دليل علــى أنّ البــعثَ بعثٌ (إلاهي)؛ مــن حيــث إنّ الله، سبحانه وتعالــى، يختصّ بهذا النوع من

البعث، فكلمة (البعث) فـي هـذا الموضـع أدّت دلالـة كلمـة (أحيا)، مع الفرق الدلالي الذي يمكن أنْ يُلمح بيـن التعبيـر بكلمـة (بعـث) والتعبير بكلمـة (أحيا)، ويؤيّد كوْن كلمة (بعث) دالة على (أحيا) ما ورد فـي القرآن الكريم مـن آيات تسانـدها، مثل قولـه تعـالى: (كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (سـورة البقرة، من الآية: 73). ومنه قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ) (سورة: الحـج، مـن الآيـة: 66). وغيـرها مـن الآيـات الأخرى. ومن ثَمّ ينتفي عن (البعث) في هذه السياقات وما شابهها انتماؤها إلى (عالَم البشر)، ويختصّ بهـذا النـوع من (البعث) (عالم الألوهية)، ومثلـه اقتران (البعث) بكلمة (النوم) إذا اعتمدنا على المعرفة الخارجية أيضاً، وهي التي تُشير إلى أنّ (النوم) يُسمَّى (الموت الأصغر)، قال تعالى: (الله يَتَوَفَّى الأنفس حِينَ مَوْتِهَا والتي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (سورة: الزمر، الآية:42). وقد صرّح بعض المفسّرين بأنّ النوم يُسمّى الموت الأصغر[6]، ويمكن الركون إلى ضابط (التضام) في مثل هذه المواقف اللغوية. فإنْ لم تقترن كلمة (البعث) بكلمة (الموت) أو إحـدى مرادفاتها، جاز انتماؤها للعالَمَيْنِ. وهذا قائم على كون التعبيرات حقيقة، أمّا إذا كانت التعبيرات اللغوية مجازية، فإنّ دلالة الكلمات لا تخضع للقيود الدلالية ذاتها. من جهة أخرى نلاحظ أنّ دلالة كلمة (بعث) في قوله تعالى: (فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ) (سورة: المائدة. من الآية: 31). وفي قوله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا) (سورة النحل، من الآية: 36). تختلف عن بعث الموتى، وبذا يتضّح الفرق بين العوالم التي تُستخدم فيها كلمة (البعث) اعتماداً على السياقات التي ترد فيها الكلمة.

يتبيّن ممّا تقدّم أنّ التداخل بين العالَمَيْنِ وعدم التمييز بينهما يجعل المتلقّي غير قادر على التمييز بين دلالة (البعث) في السياقين: الإنسانـي، والإلـهي. وعليـه فإنّ العامـل الخارجـي (العوالم الممكنة) هو الذي حدّد الفرق بين الدلالتين، بمساعدة السياق اللغوي الذي يُمثّل محور (التضام) عنصراً رئيساً فيه، وإذا ما نظرنا إلى لفظة (البعث) في ذاتها نجد معناها لم يتغيّر من حيث كونها مفردة لغوية دالّة على: إثارة الشيء وتوجيهه، وإنما تغيّرَ العالَم الذي وردت فيه ودلّنا عليه السياق.

****السياق ودلالة الألفاظ**:

يظـهر دور السياق في توجيـه معنى الألفاظ عند الراغب الأصفهاني في بعض المواضع، منها ما ورد في توضيح دلالة كلمة (بعض)، حيث وردت كلمة (بعض) في القرآن الكريم، وذكر " الأصفهاني" معناها اللغوي، فذكر أنّ:" بعض الشيء جزء منه ويقال ذلك بمراعاة كلّ ولذلك يقابل به كلّ فيقال بعضه وكلّه"[7]، غير أننا نجد أنّ أبا عبيدة معمر بن المثنّى قد ذكـر في توجيه قوله تعالى : (وَلأبَيِّنَ لَكُـمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) (سـورة: الزخـرف، من الآية: 63). أنّ كلمة (بعض) في الآية تعني (كلّ)، وذكر أبو عبيدة أنّ " البعض ها هنا الكلّ قال لبيد بن ربيعة:

- تَرَّاكُ أمْكِنَةٍ إذَا لَمْ أرْضَهَا... أوْ يَعْتَلِقْ بَعْضَ النُّفوسِ حِمامُها[8].

الموت لا يعتلق بعض النفوس دون بعض."[9] وبنـاءً علـى رأي أبـي عبيدة هـذا، تصبح كلمة (بعض) قد اكتسبت دلالة (الكلّ)، وهي دلالة فُهمت من السياق، مع ذكر ما يؤيّدها من الشعر العربي الفصيح، فتصير كلمة (بعض) ذات دلالتين: الجزء/ الكلّ. اعتماداً علـى السياق اللغوي، كما يرى أبو عبيدة.

يُشير الأصفهاني بعد نقل رأي أبي عبيدة في تفسير دلالة كلمة (بعض) في الآية، إلى أنّ أبا عبيدة جانبه الصواب، قال الأصفهاني تعليقاً على قول أبي عبيدة السابق:" وفي قوله هذا قصور نظر منه"[10]. اعتمد الأصفهاني في ردّه على أبي عبيدة معرفتــه بالسياق الكلّــي للأشياء، حيث يشير إلى أنّ علاقة صاحب الشريعة بالأشياء على أربعة أضرب، والأصفهاني بهذا الإجراء يستخدم معرفةً: خارج لغويّة؛ لأنه يستعين بالسياق غير اللغوي لفهم النص اللغوي، ولتحديد دلالة كلمة (بعض) في الآية، يقول الأصفهاني:" الأشياء على أربعة أضرب: ضربٌ في بيانه مفسدة فلا يجوز لصاحب الشــريعة أن يبيّــنه كوقــت القيــامة ووقــت المــوت، وضربٌ معقول يمكن للناس إدراكه من غير نبي كمعرفة الله ومعرفته في خلق السموات والأرض فلا يلزم صاحب الشرع أن يبيّنه، ألا ترى أنه كيف أحال معرفته على العقول في نحو قوله: (قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) (سورة: يونس، من الآية: 101). وبقوله: (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا) (سورة: الروم، من الآية: 8). وغير ذلك من الآيات. وضربٌ يجب عليه بيانه كأصول الشرعيات المختصة بشرعه. وضربٌ يمكن الوقوف عليه بما بيّنه صاحب الشرع كفروع الأحكام وإذا اختلف الناس في أمر غير الذي يختصّ بالنبيّ بيانه فهو مخيّر بيْن أن يبيّن وبيْن أن لا يبيّن حسب ما يقتضي اجتهاده وحكمته"[11]. يتضّح من هذه الفقرة أنّ استخدام الأصفهاني لمعرفته الـ(خارج لغوية) مكّنته من استنتاج أنّ كلمة (بعض) في الآية دلّت على (الجزء)، ودلالتها، حسب رأيه، تتماشى مع ما أشار إليه في الفقرة السابقة، من كون: اختلاف الناس حول الأمور التي لا يختصّ النبيّ ببيانها، وفي هذا النوع من الأشياء يُصبح النبيّ عيسى، عليه السلام، (مخيّراً) بين بيان هذه الأمور للناس من عدم بيانها، وبهذا فكلمة (بعض) تتوافق مع دلالتها اللغوية الأصلية التي ذكرها الأصفهاني في بداية حديثه عن دلالتها اللغوية وهي كونها دالة على (الجزء)، ولم تخرج عنها كما أشار أبو عبيدة في تفسيره للكلمة. إنّ ردَّ أبي عبيدة حديثَ الأصفهاني وتوْجيهه للآية قد يدلّ على أمور عقديّة، حيث يقول الأصفهاني في ختام الفقرة :" فإذاً قــولــه تعالــى: (وَلأُبَيِّــنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) (سورة: الزخرف، من الآية: 63). لم يرد به كلّ ذلك وهذا ظاهر لمن ألقى العصبية عن نفسه وأما قول الشاعر:

(أو يرتبط بعض النفوس حمامها)

فإنه يعني به نفسه والمعنى إلا أن يتداركني الموت لكن عرض ولم يصرح حسب ما بنيت عليه جملة الإنسان في الابتعاد من ذكر موته"[12]. كذلك يوافق ردّ الإمام " الطبري" رأي الأصفهاني في هذه المسألة، يقول الطبري:" وقد قيل: معنى البعض في هذا الموضع بمعنى الكلّ، وجعلوا ذلك نظير قول لبيد؟

- تَرَّاكُ أمْكِنَةٍ إذَا لَمْ أرْضَهَا... أوْ يَعْتَلِقْ بَعْضَ النُّفوسِ حِمامُها

قالوا: الموت لا يعتلق بعض النفوس، وإنما المعنى: أو يعتلق النفوس حمامها، وليس لما قال هذا القائل كبير معنى، لأن عيسى إنما قال لهم: (وَلأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ)، لأنه قد كان بينهم اختلاف كثير في أسباب دينهم ودنياهم، فقال لهم: أُبيّن لكم بعض ذلك، وهو أمر دينهم دون ما هم فيه مختلفون من أمر دنياهم، فلذلك خص ما أخبرهم أنه يبيّنه لهم. وأما قول لبيد:"أو يعتلق بعض النفوس"، فإنه إنما قال ذلك أيضا كذلك، لأنه أراد: أو يعتلق نفسه حمامها، فنفسه من بين النفوس لا شكّ أنها بعض لا كلّ."[13]

يتضّح ممّا تقدم أنّ توجيه الأصفهاني للآية واعتراضه على رأي أبي عبيدة مبنيٌّ على السياق الخارجي وليس على السياق اللغوي، في حين نلاحظ أنّ توجيه أبي عبيْدة للآية قد بُني

على السياق اللغوي مجرّداً، مع تحميله السياق المعرفي الذي يُفيد أنّ المشرِّع لا بدّ أنْ يفصل بين الناس في ما يختلفون فيه، وإنْ لم يُصرِّح أبو عبيْدة بذلك، ويبدو، ممّا ذكره الأصفهاني، دور السياق غير اللغوي في التوجيه الدلالي، فلا يمكن الركون إلى السياق اللغوي فقط؛ لأنه قد لا يفيد في الوصول إلى الدلالة المرادة، واستخدام المعرفة غير اللغوية (السياق الخارجي) تجعل محلّل النص يختلف في فهمه ومعرفته عن غيره من المحلّلين، ومن ثَمّ ينعكس هذا الاختلاف على دلالة عناصر النص كما تبيّن من الحديث عن دلالة كلمة (بعض).

السياق اللغوي والدلالة اللفظية:

لا يعتمد الأصفهاني على السياق الخارجي وحده في استخراج دلالة الألفاظ، بل يستخدم أحياناً السياق اللغوي (الداخلي) للنص، ويحاول توجيه دلالة اللفظة في نصوص مختلفة عن طريق السياق اللغوي من غير اللجوء إلى السياق الخارجي. يظهر ذلك مثلاً في توجيهه دلالة كلمة (البغي). حيث يُشير إلى أنّ (البغي): يعني طلب تجاوز الاقتصاد فيما يُتحرّى. تجاوزه أو لم يتجاوزه، فتارة يعتبر في القدر الذي هو الكمّية، وتارة يعتبر في الوصف الذي هو الكيفيّة يقال بغيت الشيء إذا طلبت أكثر ما يجب وابتغيت كذلك، قال عز وجل (لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ) (سورة: التوبة، من الآية: 48). وقال تعالى : (يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ) (سورة: التوبة، من الآية: 47)."[14] يتضّح من هذا النص أنّ دلالة (البغي) اللغوية هي: طلب تجاوز الاقتصاد، وعلى ذلك يكون معنى كلمة (البغي) (الطلب)، قال ابن عاشور في حديثه عن دلالة (البغي) ": وبغى يتعدّى إلى مفعول واحد لأنّه بمعنى طلب، ... وعدّي يبغونكم إلى ضمير المخاطبين هنا على طريقة نزع الخافض، وأصله يبغون لكم الفتنة. وهو استعمال شائع في فعل بغى بمعنى طلب."[15] والفعل (بغى) كما يذكر الأصفهاني يأتي على وجهين:" أحدهما محمود وهو تجاوز العدل إلى الإحسان والفرض إلى التطوّع. والثاني مذموم وهو تجاوز الحق إلى الباطل أو تجاوزه إلى الشُّبه... ولأن البغي قد يكون محمودا أو مذموما قال تعالى : (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (سورة: الشورى، الآية: 42) فخصّ العقوبة ببغيه بغير الحق."[16] فالبغي في الأصل على: ضربين، يكون في: الشيء المحمود، كما يكون في الشيء المذموم؛ ذلك أنّ فعل (الطلب) الذي هو معنى (بغى) لا يدلّ على معنى محمود أو معنى مذموم في أصله، وإنما المعوّل في تخصيص معنى الفعل (بغى) على السياق الذي يرد فيه، لكنّ الأصفهاني انتبه إلى أنّ (البغي) غلب عليْه في السياقات التي يرد فيها استعماله في المذموم من الأفعال، يقول الأصفهاني:" فالبغي في أكثر المواضع مذموم"، وقد استخلص ابن عاشور النتيجة نفسها، فذكر ابن عاشور أنه:" لم يسمع البغي إلاّ في معنى الاعتداء والجور، وذَلك فعلُه قاصر، ولعلهم أرادوا التفرقة بين الطلب وبين الاعتداء، فأماتوا المصدر القياسي لبَغَى بمعنى طلب وخصّوه ببغى بمعنى اعتدى وظلم، قال تعالى: (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (سورة: الشورى، الآية: 42). نلاحظ في نص ابن عاشور تخصيصه دلالة (البغي)، بحسب الاستخدام، في حقل: الاعتداء والجوْر. وهو ما دعا، حسب تصوّره، إلى إماتة المستخدمين للمصدر القياسي للفعل (بغى) بمعنى (طلب)، وتخصيص المصدر بالفعل (بغى) بمعنى: اعتدى وظلم. وعليه فإنّ التباس المعنييْن اقتضى، حسب هذا الرأي، تغييراً في الحالة الصرفية للفعل (بغى) بمعنى (طلب) من حيث عدم استخدام مصدره كما يرى ابن عاشور.

**** السياق الخارجي والدلالة المعجمية (البعد التداولي):**

تُضيف معرفة السياق الخارجي أحياناً دلالةً أخرى إلى بعض الكلمات، ذكر الأصفهاني في حديثه عن كلمة (بلغ) الدلالة اللغوية للكلمة، ثمّ تناول الكلمة كما وردت في سياق الآيات القرآنية، يقول:" بلغ: البلوغ والبلاغ الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى مكانا كان أو زمانا أو أمرا من الأمور المقدرة، وربما يعبر به عن المشارفة عليه وإن لم ينته إليه فمن الانتهاء بلغ أشده وبلغ أربعين سنة، وقوله عزّ وجـلّ: (فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُـوهُنَّ) (سورة: البقـرة، من الآية: 232)- (مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ) (سورة: غافر، من الآية: 56). - (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) (سورة: الصافات، من الآية: 102)- (لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ) (سورة: غافر، من الآية: 36)- (أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ) (سورة: القلم، من الآية: 37). أي منتهية في التوكيد."[17] نلاحظ في الآيات التي استشهد بها الأصفهاني دلالة (بلغ) على (الانتهاء)، وفي قوله تعالى: (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) (سورة: الطلاق، من الآية: 2). يقول الأصفهاني: إنّ دلالة (بَلَغَ):(للمشارفة) والسبـب الذي جعلـه يوجّـه دلالـة (بَلَغَ) علـى (المشارفة) السياق الخارجي، الذي يتمثّل في أنّ المرأة، كما يقول:" إذا انتهت إلى أقصى الأجل لا يصح للزوج مراجعتها وإمساكها".[18] نلاحظ من النص أنّ دلالة (بلغْن) في الآية الأخيرة لم يَعتمد فيها الأصفهاني علـى دلالة (السياق اللغوي) الداخلـي، وإلاّ كانت دلالتـها (الانتهاء) كما في الآية السابقة، لقد اعتمد الأصفهاني في دلالة (بلغن) فـي الآيـة الأخيـرة علـى السيـاق الخارجي، المتمثّل في المعرفة الفقهية ومعرفة الأحكام الشرعية، حيث يتعارض حمْلُ دلالة (بلغْنَ) في الآية على (الانتهاء) مع الحكم الفقهي للحالة التي دلّت عليها الآية، ممّا استلزم صرْف دلالة (بلغْن) عن (الانتهاء) إلى (المشارفة) على الانتهاء، وعليه يُصبح من بين دلالات (بلغْن) المشارفة علـى الانتهاء. إنّ استدعاء المعرفـة غيـر اللغويـة (الفقهية) في هذا الموضع تضعنا أمام البعد التداولي للدلالة اللفظية، حيث نلاحظ تعلّق دلالة الكلمة بالحكم الفقهي، ومن ثَمّ وجب توجيه دلالة الكلمة إلى (المشارفة) بـدلاً من دلالتـها على انتهاء الغاية؛ لأنّ حمل دلالة كلمة (بلغن) على (المشارفة) شرط لنجاح عملية الاتصال من حيث موافقتها للأحداث في عالم الواقع. وقد ذكر الإمام الشافعي أيضاً، كما نقل الفخر الرازي، دلالة سياق الكلامين على افتراق البلوغين[19]. والمقصود بالكلَامين في قول الإمام الشافعي هما: دلالة (بلغ) في آية سورة البقرة، في قوله تعالى: (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ) (سورة البقرة، من الآية: 234)، ودلالة (بلغ) في آية سورة الطلاق التي نتحدث عنها في هذا الموضع. حيث تدلّ كلمة (بلغ) في سورة البقرة على الانتهاء، وتدلّ الثانية في سورة الطلاق على المشارفة على الانتهاء. أمّا الفخـر الرازي فقـد ذكـر فـي توجيـه دلالـة (البلوغ) وجهين، ذكر في الوجه الأول:" أنّ المراد ببلوغ الأجل مشارفة البلوغ لا نفس البلـوغ، وبالجملة فهذا من باب المجاز الذي يُطلق فيه اسم الكلّ على الأكثر".[20] وعلى هذا الوجه فدلالة البلوغ على المشارفة من المجاز اللغوي، ويرى الفخر الرازي في الوجه الثاني لدلالة (البلوغ) أن:" الأجل اسم للزمان فنحمله على الزمان الذي هو آخر زمان يمكن إيقاع الرجعة فيه، بحيث إذا فات لا يبقى بعده مكنة الرجعة، وعلى هذا التأويل فلا حاجة بنا إلى المجاز"[21]. وفي السياق نفسه يُشير ابن عاشور إلى أنّ استعمال:" البلوغ في هذه الآية في مقاربة ذلك الانتهاء مبالغة في عدم التسامح فيه وهذا الاستعمال مجاز."[22] وعليـه دلّـت كلمة (بلغْنَ) على المشارفة على الانتهاء، وهي دلالة أُضيفت إلى دلالتها على الانتهاء، والمسوّغ لإضافة هذه الدلالة (السياق الخارجي)، ويُـعدّ

هــذا التــغيّــر للــدلالة الأصليــة من التغيرات الدلالية غير القياسية، والتغيّر الدلالي غير القياسي يشــمل أربعــة أشكــال: التخصيــص، التعميــم، الكنايــة، الاستعارة.[23] ومــا دام استخــدام كلمة (بلغْن) فــي المشــارفة، كمــا يُشــير ابن عاشور ، من المجاز " لمشابهة مقاربة الشيء بالحصول فيه والتلبّس به"[24] ومجاز المشابهة يدخل ضمن (الاستعارة) كما يُشير بعض اللغويين، فإنّ هذا المجاز الحاصل في الآية يدخل ضمن الاستعارة بهذا المعنى.

وقد ورد في بعض كتب شرح الحديث النبوي دلالة " بلغ" على المقاربة، ونصّ الحديث :" صلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بأصحابه يوماً، فلما قضى صلاته نادى رجلاً فقيل: يا رسول الله إن هذا رجلٌ شاربٌ فدعا النبي، صلى الله عليه وسلم، الرجل، فقال: ما شربتَ؟ قال: عمدتُ إلى زبيبٍ فجعلته في جرٍّ حتى إذا بلغ فشربته فقال النبي، صلى الله عليه سلم، : يا أهل الوادي ألا إني أنهاكم عما في الجر الأحمر والأخضر والأسود والأبيض منه، لينتبذ أحدكم في سقاء فإذا خشيه فليشججه بالماء." وورد في دلالة كلمة (بلغ) في الحديث (قارب) أي: قارب أنْ يكون خمراً.[25] وجاء في بعض المصادر:" أنَّ الأَشْيَاءَ قد تُسَمَّى بِمَا قَرُبَتْ منه وَإِنْ لم تَتَحَقَّقْ بِهِ ولم تَدْخُلْ فيه"، وبعد أنِ استدلّ المؤلف بالآية عقّب بقوله " فَكَانَ في ذلك ما قد دَلَّ أَنَّ ما في الآيَةِ الأولى من بُلُوغِ الأَجَلِ إنَّمَا أُرِيدَ بِهِ قُرْبُ بُلُوغِ الأَجَلِ لاَ حَقِيقَةُ بُلُوغِ الأَجَلِ"[26]. يتضّح من هذا النص أنّ دلالة (بلغ) في الأصل تعني انتهاء الغاية، وليس المشارفة على بلوغ الغاية.

نستنتــج ممّــا سبق أنّ دلالة النــص تنبني علــى تضافر دلالة الكلمة والسياق الذي ترِد فيه، الداخلي والخارجي، ولا يمكن الركون غالباً إلى عنصر دون الآخر، إضافة إلى أنّ التغير الدلالي للكلمات غير مشروط بوجوب أنْ يكون تغيّراً تدريجيّاً ناتــجاً عــن تطــوّر داخل المجتمع، ولكنّ التغيّر الدلالي للكلمة قد يظهر في سياق أو استخدام معيّن، اعتماداً على السياق الخارجي أو على قرائن أخرى تُشير إليه. بشكل عام تبقى مدى مشروعيّة التغيّر الدلالي مرهونة بعنصرين، الأوّل قبول المجتمع اللغوي للتغيّر الدلالي، والثاني، وهو على الأرجح يترتّب على الأول، ويتمثّل في قبول التغيّر الدلالي نظريّاً، حيث تُصبح الدلالة الجديدة مكوّناً أساسياً من مكونات الكلمة الدلالية في معاجم اللغة.

****معاجم اللغة والتغيّر الدلالي الإبدالي:**

نشير في هذه الفقرة إلى الآلية التي اعتمدتها معاجم اللغة للتعامل مع الدلالة التي وردت في قوله تعالــى: (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) (ســورة: الطــلاق، من الآية: 2). والتي حُمِلَت عليها دلالة (بلغْن) بمعنى (شارفن) بدلاً من (انتهين) لعدم ملاءمة المعنى الثاني للأحكام الفقهية في هذه المسألة وتعارضه معها.

ورد في معجم لسان العرب:" بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً: وصل وانتهى"[27] وكلّ المعاني التي ذكرها (ابن منظور) لتصريفات (بلغ) تدور في فلك هذا المعنى: كفاية، احتلم الغلام: كأنه بلغ وقت الكتابة عليه والتكليف، ومن معانيها: وصلت إليه، بلغ النبت: انتهى. البلاغة: الفصاحة. ولم يرد معنى آخر لكلمة (بلغْن) في كلّ تصريفاتها سوى في الآية السابقة في قوله تعالى: (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَــعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) (ســورة الطــلاق، من الآية 2). قال ابن منظور:" بلغت المكان بلوغاً: وصلت إليه، وكذلك إذا شارفت عليه، ومنه قوله تعالى:[الآية السابقة] أيْ قاربنه."[28] وعلى ذلك نلاحظ أنّ ابن منظور اعتمد في صرف دلالة (بلغْنَ) إلى دلالة (شارفن) على الآية نفسها، ولم يذكر ابن منظور أيّ مثال آخر على دلالة كلمة (بلغنَ) على دلالة (شارفنَ) سوى ما ورد في الآية السابقة. وكلام ابن منظور يُسوّغ استعمال دلالة (

بلغْن) بمعنى (المشارفة) وهي دلالة لم تكن موجودة قبل هذه الآية كما يظهر من تمثيل ابن منظور، وكذا في كتب التفسير ورد في دلالة (بلغ) في الآية أنها بمعنى (قاربْن).

التغيّر الدلالي الإبدالي والشيوع:

يُشير بعض اللغويين المحدثين إلى أنّ التغيّر الدلالي يكون بإحدى طريقتين: التغيّر الدلالي النشوئي، أو التغيّر الدلالي الإبدالي.

يُقصد بالتغيّر الدلالي النشوئي التغيّر الذي يحدث بالتدريج، ويكون على مستوى الجماعة. أمّا التغيّر الدلالي الإبدالي فيحدث على مستوى الفرد وبصورة عارضة نتيجة عمل مقصود لأحد مستعملي اللغة[29]. ويمكن عدّ التغيّر الدلالي في كلمة (بلغْن) بمعنى (المشارفة) من النوع الثاني كما بيّنا عند تحليل الأصفهاني؛ وعلى هذا الوجه يمكن استخدام المعنى الجديد لكلمة (بلغْن) وإدخاله ضمن دلالة هذه الكلمة، وهذه إحدى طرق التغيّر الدلالي للكلمات، كما أشار علماء علم الدلالة التاريخي،[30] المشار إليها سابقاً وهو ما قام به ابن منظور كما تمت الإشارة. غير أننا نلاحظ ممّا تقدّم أنّ دلالة كلمة (بلغ) على (المشارفة) لم تشع في اللغة؛ ولهذا لم يمثّل ابن منظور على دلالة (بلغ) على (المشارفة) بغير هذه الآية. ويمكن التساؤل في هذا السياق عن محور الاستبدال أو الاختيار، أي: لماذا تمّ التعبير بكلمة (بلغن) في هذا الموضع ولم يُعبّر بكلمة أخرى تدلّ على المشارفة نصّاً؟، ولم أجد في المصادر التي اطلعت عليها مَن أثار هذا التساؤل في هذا الموضع.

بناءً على ما تقدم فإنّ دلالة (بلَغَ) على (المشارفة) أو (المقاربة) ورد في المصادر اعتماداً على دلالة (بلَغ) كما وردت في الآية القرآنية.

التغيّر الدلالي النشوئي:

تمّت الإشارة في الفقرة السابقة إلى إشارة علماء الدلالة المحدثين إلى نوعين من التغيّر الدلالي للألفاظ، وهما: التغيّر الدلالي النشوئي، والتغيّر الدلالي الإبدالي. إضافةً إلى ما تقدّم في الفقرة السابقة يمكن الإشارة إلى التغيّر الدلالي النشوئي كما ورد عند الأصفهاني في تفسير كلمة (الإصعاد)، التي وردت في قوله تعالى : (إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ) (سورة: آل عمران، من الآية: 153). قال الأصفهاني:" وأما الإصعاد فقد قيل هو الإبعاد في الأرض سواء كان ذلك في صعود أو حدور وأصله من الصعود وهو الذهاب إلى الأمكنة المرتفعة كالخروج من البصرة إلى نجد وإلى الحجاز، ثم استعمل في الإبعاد وإن لم يكن فيه اعتبار الصعود كقولهم تعالْ فإنه في الأصل دعاء إلى العلو صار أمرا بالمجيء سواء كان إلى أعلى أو إلى أسفل"[31] نلاحظ في هذا النص تغير دلالة لفظ (الإصعاد) من الدلالة على (العلو) إلى الدلالة على (الإبعاد) الذي لا يُراعى فيه (العلو) أو (الانحدار)، ويُعدّ هذا التغير من التوسيع في المعنى، يُشير ستيفن أولمان في حديثه عن دلالة بعض الألفاظ في سياق توسيع المعنى إلى أنّ بعض الكلمات كانت :" في الأصل مصطلحاً بحريّاً، لا يجوز استعماله إلا في معنى الوصول إلى الميناء. أمّا الآن فقد اتسع نطاق استعمالها، حتى أصبحت تشمل عدداً ضخماً من أنواع الوصول، سواء أكان ذلك على القدم أم بأية وسيلة أخرى من وسائل الانتقال"[32]. وهي نفس الظاهرة التي نتحدّث عنها في هذا السياق، واعتمد الأصفهاني في دلالة كلمة (الإصعاد) على دلالة الجذر (صعد) قال الأصفهاني في دلالة لفظ (صعد) :" صعد : الصعود الذهاب في المكان العالي، والصعود والحدور لمكان الصعود والانحدار وهما بالذات واحد وإنما يختلفان بحسب الاعتبار بمن يمر فيهما، فمتى كان المار صاعدا يقال لمكانه صعود،

وإذا كان منحدرا يقال لمكانه حدور،[ثمّ ذكر الأصفهاني دلالة مشتقات الجذر (صعد)] والصعد والصعيد والصعود في الأصل واحد لكن الصعود والصعد يقال للعقبة ويستعار لكلّ شاق، قال: (وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً) (سورة: الجن، من الآية: 17)، أي شاقاً وقال (سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً) (سور: المدثّر، الآية: 17)، أي عقبة شاقة، والصعيد يقال لوجه الأرض قال : (فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً) (سورة: النساء، من الآية: 43)"[33] نلاحظ في هذا النص أنّ الجذر " صعد" يدلّ على الذهاب في المكان العالي، وهي الدلالة التي اعتمدها الأصفهاني في حديثه عن دلالة (الإصعاد)، وذهب الإمام الطبري إلى أنّ (الإصعاد) يدلّ على:" الهرب في مستوى الأرض وبطون الأودية والشعاب"[34]، ويُشير الطبري في الموضع ذاته إلى دلالة (الصعود) قائلاً:" وإنما يكون(الصعود) على الجبال والسلاليم والدَّرج؛ لأن معنى (الصعود)، الارتقاء والارتفاع على الشيء عُلوًا"[35]. وقد ربط الطبري دلالة لفظ (الإصعاد) بالقراءة القرآنية، فقد اختلف القراء في قراءتها، فقرأها بعضهم: تُصعِدون، بضم التاء، وكسر العين، وقرأها بعضهم: تَصعَدون. بفتح التاء والعين. واللفظ، حسب القراءة الثانية، يدل على الارتفاع، وعلى القراءة الأولى يدلّ على الذهاب من غير تعيين لارتفاع، وعليه يكون التغيّر الدلالي وفق هاتين القراءتين مرتبطاً بظاهرة الاشتقاق، فالاختلاف في الدلالة ناتج عن اختلاف الصيغتين[36]. والتغيّر الدلالي للفظ (الإصعاد)، عند الأصفهاني، لم يكن تغيّراً في المعنى فقط، بل نجد التغيّر الدلالي شمل دلالة تضاد لدلالة اللفظ الأصلية، وهي اختصاصها بالصعود إلى الأعلى؛ ولهذا ذكر الأصفهاني التخصيص بالاتجاهين في قوله في الحديث عن لفظ (الإصعاد) :" سواء كان ذلك في صعود أو حدور"، فقد تنبّه الأصفهاني إلى اشتمال دلالة (الإبعاد) التي استُخدم وفقها لفظ (الإصعاد) على دلالة (الحدور) أيضاً، وليس دلالتها على الارتفاع فقط. ويختلف هذا النوع من التغيّر الدلالي عن النوع الذي مرّ بنا في لفظ (بلغْن) في الفقرة السابقة، فقد ذكر الأصفهاني في النص السابق أنّه تمّ استعمال لفظ (الإصعاد) :" في الإبعاد وإن لم يكن فيه اعتبار الصعود كقولهم تعالْ فإنه في الأصل دعاء إلى العلو صار أمرا بالمجيء سواء كان إلى أعلى أو إلى أسفل" ممّا يُدلّل على أنّ تغيّر دلالة اللفظ استُنبط من استعمال أهل اللغة، مع تناسي الدلالة الأولى للفظ كما في لفظ (تعالْ) الذي كان يدلّ على الدعاء للعلو، ثُمّ صار يُستخدم للدعاء عامّة من غير تحديد ناحية الارتفاع. إذاً فالتغيّر الدلالي للفظ (الإصعاد) من (العلو) إلى (الإبعاد) يُعدّ تغيّراً مجتمعياً قامت به الجماعة، ويُطلِق العلماء على مثل هذا النوع من التغيّر الدلالي (التغيّر النشوئي)؛ لأنه يحدث وينشأ بالتدريج بواسطة استعمال الجماعة اللغوية، وليس تغيراً دلالياً (إبدالياً) كما في لفظ (بلغْن) الذي لم يكن يدلّ على (القرب) من الانتهاء، بل يدلّ على الوصول إلى الغاية المرادة، وهي الدلالة الأصلية للفظ، واستخدامها في غير وجهها الأصلي تمّ في القرآن الكريم فقط، فهو تغيّر دلالي لم ينشأ عن الجماعة اللغوية، إنّما وردت الدلالة الجديدة للفظ في الاستخدام القرآني، وتمّ الاستدلال على التغيّر الدلالي بواسطة السياق الخارجي المتمثّل في (المعرفة بالأحكام الفقهية)، ولم يدلّ عليه استخدام الجماعة، فهو ليس تغيّراً دلاليّاً من الداخل عبر الخضوع لرغبة الجماعة اللغوية واستخداماتها. إضافة إلى ذلك نجد في إشارة الأصفهاني إلى أنّ أصل دلالة (الإصعاد) الذهاب إلى الأمكنة المرتفعة، ولكن طريقة الانتقال أو التغيّر لا دليل عليها ولا يمكن معرفة الكيفية التي تمّ بها التغيّر، فهي غير واضحة؛ ولذلك يغيب المبرّر العلمي في مثل هذا النوع من التحليل المعجمي وهو ما يفتح الباب أمام استخدام الحدس في التحليل المعجمي.

إضافة إلى ما تقدم فإنّ نقل دلالة كلمة (الإصعاد) من العلو إلى (الإبعاد) يُعدّ تغيّراً دلالياً يدخل تحت نوع (التعميم)[37]، فكلمة (الإصعاد) كانت تختصّ بـ (الارتفاع) ثُم أصبحت تدلّ على (الإبعاد) بغض النظر عن الارتفاع من عدمه. ويُقابل (تعميم) الدلالة (تخصيص) الدلالة، ومثال تخصيص الدلالة ما ورد في شرح الأصفهاني لكلمة (طارق) حيث يقول:" والطارق السالك للطريق، لكن خص فـي التعارف بالآتي ليلا فقيـل: طرق أهله طروقا، وعبر عن النجم بالطارق لاختصاص ظهوره بالليل، قال: (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ) سورة الطارق، الآية: 1. قال الشاعر•: نحن بنات طارق **)

وعن الحوادث التي تأتي ليلا بالطوارق، وطرق فلان قصد ليلا، قال الشاعر••[الطويل]:

- كَأَنِّي أنَا المَطْرُوقُ دُونَكَ بالّذِي طَرَقْتُ بِهِ دُونِي وَعَيْنِي تَهْمِلُ."[38]

نلاحظ أنّ كلمة (طارق) كانت تدلّ على السالك للطريق، من غير تخصيص لدلالة سالك الطريق بزمن معيّن، ثُمّ خُصِّصت دلالة الكلمة بزمن محدّد؛ لتدل على سـالك الطـريق ليـلاً فقط، وعليه خُصّصت دلالة كلمة (طارق) بالذي يسلك الطريق ليلاً، بعد أنّ كانت دلالتها تشمل: سالك الطريق في أيّ زمن، في الليل أو في النهار، ويدخل هذا التغيّر الدلالي ضمن تضييق المعنى[39].

وبالرجوع إلى كلمة (الإصعاد) فـإنّ بعـض المفسرين يروْن أنّ دلالـة (الإصـعاد) هـي(العلو)، وليس(الإبعاد). ويشير هذا الرأي إلى أنّه:" لم يقصد بقوله تعالى (إذْ تُصْعِدُونَ) إلى الإبعاد في الأرض وإنما أشار به إلى علوّهم فيما تحرّوه وأتوه كقولك أبعدت في كذا وارتقيت فيه كل مرتقى، وكأنه قال إذ بعدتم في استشعار الخوف والاستمرار على الهزيمة"[40] وعلى هذا الرأي فإنّ دلالة (الإصـعاد) باقية على حالها من حيث الدلالة على (العلو) أو على (الارتفاع) دون (الإبعاد). وبالنظر إلى رأي الإمام الطبري السابق فإنّ قول المفسرين الذي ساقه الأصفهاني لدلالة (الإصعاد) على العلو قد يكون مرتبطاً باعتمادهم على قراءة فتح التاء والعين في (تصعدون).

يتبيّن ممّا تقـدم دور السياق فـي تحديد دلالـــة الألفـاظ، فالسيـاق بنوعيـه: الداخـلـي، والخارجي، قد يكون له أثر في تحديد معاني الألفاظ، ومن ثَمّ لا يمكن الاعتماد في تحديد دلالة الألفاظ في النصوص على المعنى المعجمي وحده، الذي ربّما يكون متعدّداً، وما يُحدّد دلالة الألفاظ في كثير من النصوص السياق بنوعيه.

كما يلاحظ أنّ التغيّر الدلالي للألفاظ قد يكون نتاجاً لاستعمال المجتمع اللغوي واستخداماته، فينشأ التغيّر الدلالي تدريجياً، وهو التغير الدلالي (النشوئي)، أو قد يكون التغيّر الدلالي نتاج استخدام لفظ في معنى جديد لم ينشأ عن استخدام الجماعة اللغوية، وإنما بسبب ورود اللفظ في استخدام معيّن تتغيّر فيه دلالته أو تتّسع، كما في النص القرآني أو غيره من النصوص الأخرى التي قد تُمارس تأثيراً على المجتمع اللغوي، فينتج عنه تغيّر دلالي أو توسيع في المعنى غير ناشئ عن استخدام الجماعة، ولا يتّسم هذا النوع من التغيّر الدلالي بالتدريج الذي قد تُتناسى فيه الدلالة الأولى للكلمة كما في كلمة (تعالْ) الذي استشهد بها الأصفهاني، وفي هذا النوع تكتسب الكلمة دلالة جديدة تصير، أحياناً، هي دلالتها الأساسية، مع اندثار الدلالة الأولى للكلمة، في حين أنّه في التغيّر الدلالي (الإبدالي) الفردي، قد تتعايش دلالتا الكلمة في الوقت نفسه من غير أنْ

تندثر إحداهما، وقد تتغلّب إحدى الدلالتين وتشيع بدلاً عن الأخرى، وذلك رهن باستخدام الجماعة اللغوية وأعرافها في الاستعمال.

التغيّر الدلالي للمفردات عن طريق النقل:

تتغير دلالة الكلمة أحياناً عن طريق انتقالها من مجال إلى مجال آخر، ويُشير بعض علماء اللغة إلى هذا النوع من التغيّر الدلالي بوصفه نوعاً من الاستعارة[41]، وهي النتيجة التي نجدها عند الأصفهاني، حيث تنبّه إلى نقل دلالة الكلمة في بعض آيات القرآن الكريم من مجال إلى آخر واصفاً النقل بالاستعارة، ففي دلالة كلمة (شق) نجد الأصفهاني يوضح دلالة الكلمة المعجمية، يقول الأصفهاني ": الشقّ الخرم الواقع في الشيء، يقال شققته بنصفين، قال تعالى: (ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا) (سورة عبس، الآية: 26)- (يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ)"[42] (سورة: ق، من الآية: 44)، كما يُشير الأصفهاني إلى أنّ:" الشقة القطعة المنشقة كالنصف"، ونلاحظ أنّ هذه الدلالات لجذر (شقّ) دلالة حسيّة، غير أنّ اللفظة وردت في قوله تعالى : (إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ) (سورة النحل، من الآية: 7)، مضافة إلى (الأنفس)، والأنفس لا تنتمي إلى المجال الحسّي، وعلى هذا نُقلِت دلالة الكلمة من المجال الحسّي إلى المجال المعنوي، وقد لمح الأصفهاني هذا النقل، فقال في دلالة (الشقّ) :" والشَّقّ: المشقة والانكسار الذي يلحق النفس والبدن، وذلك كاستعارة الانكسار لها ... والشقة الناحية التي تلحقك المشقة في الوصول إليها"[43]، نلاحظ أنّ الأصفهاني قد أشار بوضوح إلى أنّ(الشق) المشقة والانكسار الذي يلحق النفس والبدن، ويكون على سبيل الاستعارة، فالشدّة والمشقة كأنهما يشقان النفس والبدن، وبذا يوضح الأصفهاني أنّ الاستعارة هي وسيلة نقل للدلالة، وهي من ثَم وسيلة من وسائل توسيع دلالة الكلمة في القرآن الكريم، ويتمّ ذلك، كما في الآية، بنقل دلالة الكلمة من المجال الحسّي إلى المجال المعنوي، وعلى هذا فلا تغيير في دلالة الكلمة الأصلية، فهي باقية على دلالتها، ولكن الدلالة نُقلت من مجال حسيّ إلى مجال معنوي، فالشق هو الكسر، ولكن بدل أن يكون الكسر حسّياً أصبح الكسر معنوياً، يقول ستيفن أولمان في هذا السياق:" ومن النماذج الشائعة للاستعارة استخدام الكلمات ذات المعاني المادية للدلالة على المعاني المجردة"[44]. وأصبح النقل الدلالي في كلمة (شق) شائعاً في اللغة، وتعبير (شق الأنفس) من التعبيرات الشائعة في الاستخدام اللغوي، وعليه يمكن القول إنّ هذه الدلالة أصبحت ضمن البناء المعنوي الكلّي للكلمة[45].

ومن دلالة النقل أيضاً، ما ذكره الأصفهاني في دلالة كلمة (طرق)، قال الأصفهاني في حديثه عن دلالة (طرق): " طرق: الطريق السبيل الذي يُطرَق بالأرجل أي يُضرَب، قال: (طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا)"[46] (سورة: طه، من الآية: 77). نلاحظ أنّ دلالة كلمة (طريق) اللغوية، هي: السبيل الذي يُطرَق بالأرجل، وهي دلالة حسّيّة، ثمّ يُشير الأصفهاني إلى نقل دلالة الكلمة من مجالها الحسّي إلى المجال المعنوي أيضاً، يقول الأصفهاني:" وعنه استعير كلّ مسلك يسلكه الإنسان في فعل محموداً كان أو مذموماً، قال (وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى)"[47] (سورة: طه، من الآية: 63). نلاحظ في هذه الفقرة أنّ الأصفهاني يُشير إلى (الاستعارة) التي حصلت عن طريق نقل دلالة اللفظ من مجال إلى مجال آخر، فدلالة الطريق لم تعد مقصورة على الدلالة الحسيّة التي تتمثّل في السبيل الذي يُطرق بالأرجل، بل أصبحت دلالة الكلمة تُطلق على كلّ مسلك، ومن ثَمّ فإن الدلالة الحسيّة الأصلية المتمثّلة في (الطرق بالأرجل) قد تمّ تجاوزها في النقل الدلالي الذي تَمّ بواسطة(الاستعارة)، وترتّب عن هذا النقل توسيع دلالي تمثّل في دلالة الكلمة، بعد النقل، على الحسّي والمعنوي معاً. وممّا يجب التنبيه إليه في

هذا السياق كيفيّة إرجاع الكلمتين في الآيتين(طريقاً _ طريقة) إلى الجذر الأصلي للكلمة، ثُمّ بيان المعنى الأصلي للكلمة، وتوضيح الكيفية التي يتمّ بها الربط بين دلالة الكلمة الثانية (طريقة) بدلالة الكلمة الأولى(طريقاً)، وعليه فإنّ الأصفهاني لا يولي كبير اهتمام لظاهرة الاشتقاق في تحديد دلالة الكلمات، بل يكتفي في تحديد دلالة الكلمة بالبحث عن المعنى الأصلي لها، ثُمّ النظر في تغيّر دلالتها من عدمه حسب السياق الذي وردتْ فيه، وما هي الطريقة التي تغيّرت بها الدلالة.

**** عنصر التضام وأثره في تعيين الدلالة:**

تقع بعض ألفاظ اللغة في سياقات وهي تحمل أكثر من دلالة، ويتعذّر ضبط دلالة تلك الكلمات في السياقات المختلفة، من ذلك مثلاً كلمة (ظنّ) يقول الأصفهاني في تعريف هذه الكلمة معجميّاً:" الظنّ اسم لما يحصل عن أمارة ومتى قويت أدّت إلى العلم، ومتى ضعُفت جدّاً لم يتجاوز حدّ التّوهم."[48] نلحظ من هذا النص أنّ دلالة (الظنّ) تقع على: العلم، كما تقع على: التوهّم. فما هو الضابط لمعرفة دلالة (الظنّ) في السياق؟ يُشير الأصفهاني إلى أنّ (الظنّ) " متى قَوِيَ أو تصوَّر تصوّرَ القويّ استعمل معه أنّ المشددة وأنْ المخففة منها"[49] والأصفهاني باستخدامه هذا الإجراء يستخدم عنصر (التضام) لإثبات إحدى الدلالتين لكلمة (الظنّ) في السياق، و(التضام) علاقة سياقية بين عنصرين لغويين، فمتى وقعت (أنّ) أو (أنْ) المُخفَّفة منها في تضامّ مع (الظنّ) في سياق أفادت اليقين دون التوهّم، ففي قوله تعالى: (الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) (سورة البقرة، من الآية: 46). نلاحظ في الآية أنّ الفعل (ظنّ) وقع مع (أنّ) المشدّدة. ويدلّ هذا التضام على أنّ الظنّ في هذه الآية بمعنى اليقين. يقول الأصفهاني في شرح (الظن) في قوله تعالى : (وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا) (سورة يونس، من الآية: 24)، " تنبيها أنهم صاروا في حكم العالمين لفرط طمعهم وأملهم"[50]. يلاحظ ممّا تقدم أنّ الأصفهاني استعمل عنصر التضام للتفريق الدلالي بين (الظن) بمعنى اليقين، وبين (الظن) بمعنى التوهّم، وننبّه في هذا السياق إلى أنّ اعتماد هذه الآلية في التحليل الدلالي قريب من استخدام التضام مع الفعل (رغب)، فإذا ورد الفعل مع حرف الجر (عن) دلّ على عدم الرغبة، وإذا كان مع حرف الجر (في) دلّ على الرغبة في الفعل. ويمكن أنّ نتساءل في هذا السياق عن مشروعية استخدام آلية (التضام) مع (الظن) عند الأصفهاني، فيبدو لي أنّ استخدام هذه الآلية لم يتم عن طريق استقراء للشواهد اللغوية في سياقاتها حتى يمكن الركون إلى مثل هذا التحليل، ولم يذكر صاحب اللسان ولا صاحب القاموس، مثلاً، هذه النوع من التضام في حديثهما عن (الظن)، وعليه نستطيع القول إنّ الوثوق بمثل هذا التحليل يحتاج إلى أدلّة لغوية كافية يُعتمد عليها في التحليل.

نستخلص ممّا تقدم محاولة الأصفهاني استخدام عنصر التضام لضبط دلالة الكلمات التي تحمل أكثر من دلالة في السياق، بحيث يتعذّر، من غير استخدام هذا العنصر، حسب رأيه، تحديد إحدى الدلالتين في السياقات التي ترد فيها بشكل واضح وجليّ، واستخدام عنصر التضام في الوصول إلى تحديد دلالة الكلمات متعدّدة الدلالة، يُعدّ محاولة جادّة يمكن الوقوف عندها في التحليل الدلالي، حتى وإنْ كانت من ناحية إجرائية في هذا السياق لم ترقَ إلى الدقة المطلوبة في التحليل.

**** العلاقات النحوية وتعيين الدلالة:**

يتعلّق هذا النوع من التحليل الدلالي بالنوع السابق، من حيث كون النوعين يُعنيان بكلمات لها دلالة متعدّدة، ومن حيث اعتماد النوع الثاني لتحديد دلالة الكلمة، التي قد تظهر في سياقين مختلفين، على ما يرِد متعلّقاً بالكلمة، غير أنّ ما يُشير إليه الأصفهاني في هذا الموضع هو السياق النحوي، ذكر في حديثه عن كلمة (العاقبة) قوله :" والعاقبة إطلاقها يختصّ بالثواب نحو [قوله تعالى]: (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (سورة الأعراف، من الآية: 128). وبالإضافة قد تستعمل في العقوبة نحو [قوله تعالى]: (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى) (سـورة الروم، من الآية: 10). وقوله تعالى: (فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ) (سورة الحشر، من الآية: 17)."[51] نلاحظ في النص إشارة الأصفهاني إلى أنّ كلمة (العاقبة) إذا وردت في النص مطلقة فهي مختصّة بـ(الثواب)، والمراد بالإطلاق عدم تقيّدها في المستوى النحوي، وإذا كانت مضافة قد تستخدم في العقوبة، والإضافة عنصر نحوي يُبرز علاقة الكلمة بغيرها من الكلمات في النص، ممّا يعني تقييدها على المستوى النحوي، وعليه يكون للعلاقات النحوية دور في التفريق بين دلالات الكلمة في السياق، ويهدف الأصفهاني من هذا الإجراء إلى محاولة وضع ضوابط لتعيين الاستخدام الدلالي للكلمات في السياق، وهـو هدف، وإنْ كان محفوفاً بالمخاطر، قد يكون ذا فائدة في الاستخدام. غير أنّ الركون إليه رهن الاستعمال المجتمعي للكلمات في النصوص.

تَكتسب بعض الكلمات في الاستعمال وظائف نحوية متغيّرة، يرتبط بعض تلك الوظائف النحوية بالبعد الدلالي للكلمة، من ذلك مثلاً كلمة (العلم)، يُعرّف الأصفهاني (العلم) لغةً بقوله:" العلم إدراك الشيء بحقيقته؛ وذلك ضربان: أحدهما إدراك ذات الشيء. والثاني الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له أو نفي شيء هو منفيّ عنه"[52] فالعلم كما يظهر من النص صنفان، وعملية تحديد أيّ القسمين الذي يرد في النص قائمة عند الأصفهاني على العنصر النحوي، الذي يتمثّل في الوظيفة النحوية لكلمة (العلم) يقول الأصفهانـــي:" فـالأول [المقصود به إدراك ذات الشيء] هو المتعدّي إلى مفعول واحد نحو [قوله تعالى]: (لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) (سورة الأنفال، من الآية: 60). والثاني المتعدّي إلى مفعولين نحو قوله: (فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ) (سورة الممتحنة، من الآية: 9)"[53] نلاحـظ في هذا النص أنّ دلالـة كلمة (العلم) ترتبط بالوظيفة النحوية، فإنْ نَصبَ فعلُ (العلم) مفعولاً به واحداً كان معناه: إدراك ذات الشيء، وإلا ففعل (العلم) من النوع الثاني. وعليه فإنّ الذي يُعوّل عليه في البعد الدلالي هو البعد النحوي، ولكن هل يمكن أنْ يكون هذا الإجراء رائزاً يُعتمد عليه في التحليل الدلالي؟ إنّ الأصفهاني على الرغم من استخدامه هذه التقنية في التحليل فهو لم يُصرّح بما إذا كانت هذا النوع من الضبط يكتسب صفة الاطراد في الاستخدام أم لا.

يتبيّن ممّا تقدم أنّ الكلمات في الاستعمال قد تظهر بدلالة مختلفة في سياقات متشابهة، وما لم يُصرّح به الأصفهاني في كلمتي (الظنّ) و(العاقبة) هو أنّ الدلالة المختلفة التي تظهر بها كلّ منهما تضاد الأخرى:

فالظنّ: يدلّ على: اليقين/ التوهّم.

والعاقبة: تدلّ على: الثواب/ العقاب.

في حين أنّ دلالة العلم لا تتضمن خاصيّة التضاد.

ويبدو أنّ هذا السبب هو الذي دعا الأصفهاني إلى محاولة البحث عن كيفية رصد السياق الذي تظهر فيه كلّ دلالة للكلمتين على حدة، وهي محاولة تدلّ على بعد نظر في التحليل الدلالي المعجمي، وإنْ كانت تحتاج إلى تنظيم أكثر حتى تؤدّي إلى نتائج أكثر دقّة في التحليل.

**** خاتمة:**

نستخلص ممّا تقدّم أنّ التغيّر الدلالي للألفاظ يتمّ عبر آليات محدّدة، يضبطها الاستخدام والسياق بنوعيه اعتماداً على الدلالة المعجمية للكلمات، حيث لاحظنا ممّا تَمّ تناوله أنّ الدلالة المعجمية للكلمات تُشكل الأساس الذي ينطلق منه التحليل اللغوي للكلمات في النصوص، ولا يمكن بأيّ حال تجاوز الدلالة المعجمية في التحليل؛ ولذلك نجد الأصفهاني ابتدأ في تحليل دلالة الكلمات في القرآن الكريم ببيان معانيها المعجمية قبل الحديث عن دلالتها، كما تبيّن أنّ ضبط آليّات التغيّر الدلالي للكلمات في النصوص لا يمكن الجزم بها بشكل نهائي؛ لأنّ هذه النقطة تمثّل إشكاليّة تتعلّق بمحور الزمن في التطوّر الدلالي، ولا تُوجد دراسات تاريخية تهتم بالتطوّر الدلالي للكلمات، بحيث تضع ظاهرة التغيّر الدلالي للكلمات في سياقها التاريخي، إذا ما استثنينا بعض أنواع الاستعارات التي تَمّ الاهتمام بها في بعض الدراسات الأدبية.

يظهر ممّا تمّ تناوله في هذه الدراسة أيضاً دور البعد التداولي في المعرفة الدلالية المعجميّة، والاهتمام بهذا البعد في البحث الدلالي للكلمات من اهتمامات الدراسات الدلالية المعجمية التي اهتمت بظاهرة التغيّر اللغوي، يقول بعض اللغويين في هذا السياق:" إذا أخذنا تغيّر اللغة بعين الاعتبار. يجب أنْ تكون المعاني التداولية التي تعتمد على السياق، قادرة على النفاذ إلى المستوى الدلالي."[54] ويبدو لي أنّ المكوّن التداولي يجب أنْ يكون مكوّناً رئيساً في الدراسات الدلالية المعجمية التي تعتمد على النصوص؛ لأنّ النص حدث اتصالي يخضع لما تخضع له الأحداث في عالم الواقع، ومراعاة البعد التداولي والتركيز على نجاحه بمراعاة شروطه يعني نجاح الحدث الاتصالي ومن ثَمّ نجاح عملية الاتصال.

يُعدّ تنبّه الأصفهاني لعنصري التضام، والعلاقات النحوية في التحليل الدلالي، عن طريق ضبط دلالة الكلمات بدلائل لغوية سياقية أو نحويّة، من النظرات التي تبنّاها بعض المنظّرين في علم الدلالة المعجمي، حيث يُشار في علم الدلالة المعجمي إلى أنّ المنظور السياقي يُشكل قاعدة المنهج التوزيعي لعلم الدلالة المعجمي، وتنصّ تلك القاعدة على أنْ يقوم الدارس بـ" دراسة الظروف السياقية لاستخدام المفردات التي تظهر فيها المفردة إذا أردت أنْ تعرف أكثر عن المفردة التي تتعامل معها."[55] ونُشير في هذا السياق إلى أنّه يمكن أنْ يزيد استخدام المنهج التوْزيعي من فاعلية النظرات التي أشار إليها الأصفهاني في استخدام عنصري: التضام، والعلاقات النحوية، ممّا قد يؤدي إلى نتائج أكثر ضبطاً في معرفة كيفية استخدام تلك المفردات في السياقات التي تظهر فيها.

يمكن أنْ نتساءل أخيراً عن جوهر التغيّر الدلالي، بشكل آخر: متى نستطيع الحكم بإطلاق ظاهرة التغيّر الدلالي على الكلمات؟ قد يتبادر إلى الذهن أنّ الإجابة عن هذا التساؤل واضحة، ولكن عندما نمعن النظر في حركيّة المفردات، ونضع في الحسبان العلاقة بين اللفظ ومدلوله، فإننا سنجد أنّ الإجابة عن هذا التساؤل تحتاج إلى أنْ نعمل إمّا على توسيع دائرة ما يندرج تحت ظاهرة التغيّر الدلالي، أو أنْ نستثني بعض الظواهر، التي قد تكون خارج لغوية تتعلّق بالمدلول، ونضعها ضمن تصنيفات أخرى جديدة.

الهوامش:

[1] ـ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: محمد السيد كيلاني، ص 6، دار المعرفة/ لبنان، د.ت.

• ـ معرفة العالم من المصطلحات التي ظهرت في مجال الدراسات اللغوية، ويرتبط المصطلح بمصطلح العوالم الممكنة الذي ظهر في علم الدلالة الحديث، وهو يعني وجود عوالم أخرى غير العالم الواقعي الذي نعيش فيه. يُنظر: النص والسياق، فان دايك، تر: عبد القادر قنيني، ص 20/ وص 52. أفريقيا الشرق/ المغرب، 2000م.

[2] ـ نظريات علم الدلالة المعجمي، ديرك جيرارتس، تر: د. فاطمة الشهري وآخرين، ص 213. الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي/ القاهرة، ط: 1، 2013م.

[3] ـ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص 52.

[4] ـ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5] ـ نفسه، ص 53.

[6] ـ يُنظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزيّ الكلبي، ضبطه: محمد سالم هاشم، ج 2، ص 528. دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط: 1، 1995م، وينظر: اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحلبي، تح: عادل عبد الموجود وآخرين، ج: 3، ص 6، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط: 1، 1998م.

[7] ـ المفردات، الراغب الأصفهاني، ص 54.

[8] ـ ديوان لبيد ابن ربيعة، اعتنى بـه حمدو لحماس، ص 113، دار المعـرفة، بيـروت/ لبنـان، (د.ط. ت).

[9] ـ مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنّى، تعليق: د. محمود فؤاد سزكين، ج 2، ص 205. مكتبة الخانجي، القاهرة. د. ت.

[10] ـ المفردات، الراغب الأصفهاني، ص 54.

[11] ـ المصدر نفسه، ص 54.

[12] ـ المفردات، الراغب الأصفهاني، ص 54.

[13] ـ تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج 20، ص 636/ 637. دار هجر/ القاهرة، ط: 1، 2001م.

[14] ـ المفردات، الراغب الأصفهاني، ص 55/ 56.

[15] ـ تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج 10، ص 217. الدار التونسية للنشر/ تونس، 1984م.

[16] ـ المفردات، الراغب الأصفهاني، ص 55/ 56.

[17] ـ المصدر نفسه، ص 60/ 61.

[18] ـ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[19] ـ يُنظر: التفسير الكبير، الفخر الرازي، ج 6، ص 122. دار الفكر، ط: 1، 1981م.

[20] ـ المصدر نفسه، ج 6، ص 117.

[21] ـ المصدر نفسه، والجزء والصفحة أيضاً.

[22] ـ تفسير التحرير والتنوير، ج: 28. ص 307.

[23] ـ نظريات علم الدلالة المعجمي، ص 53.

[24] ـ تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 28، ص 307.

[25] ـ كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين، تح: بكري حياني/ صفوة السقا، ج 5، ص 527/ 528 . حديث: 13824. مؤسسة الرسالة/ بيروت، ط5، 1981م.

[26] ـ شرح مشكل الآثار، أبو جعفر الطحاوي، تح: شُعيب الأرناؤوط، ج 8، ص 349، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ط 1/ 1994م.

[27] ـ لسان العرب، ابن منظور، مادة " بلغ". دار صادر/ بيروت.
[28] ـ المصدر نفسه، المادة نفسها.
[29] ـ نظريات علم الدلالة المعجمي، ص 65.
[30] ـ يُنظر المرجع نفسه، ص 65 وما بعدها.
[31] ـ المفردات، الراغب الأصفهاني، ص 281.
[32] ـ دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، تر: د. كمال بشر، ص 190، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع/ القاهرة، ط 12، د.ت.
[33] ـ المفردات، الراغب الأصفهاني، ص 280.
[34] ـ تفسير الطبري، تح: محمود محمد شاكر، ج 7، ص 200 وما بعدها. مكتبة ابن تيمية/ القاهرة، ط 2، د.ت.
[35] ـ المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
[36] ـ يُنظر: الكلمة دراسة لغوية معجمية، د: حلمي خليل، ص 67، وما بعدها، دار المعرفة الجامعية/ الإسكندرية، 2004م.
[37] ـ يُنظر: دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ص 190.
• قال ابن بَرّي البيت لهند بنت بيَاضَة بن رباح ابن طارق الأيادي. يُنظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (طرق)، دار صادر/ بيروت. د. ت.
•• البيت منسوب في حماسة أبي تمام للشاعر: أميّة بن أبي الصّلْت، ونُسب البيـــت لشعراء آخرين، يُنظر: شروح حماسة أبي تمام، دراسة موازنة في مناهجها وتطبيقها، د. محمد عثمان علي، ج 2/ ص 358. دار الأوزاعي/ لبنان، ط 1، د. ت.
[38] ـ المفردات، الراغب الأصفهاني، ص 303.
[39] ـ يُنظر: دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ص 191.
[40] ـ المفردات، الراغب الأصفهاني، ص 281.
[41] ـ يُنظر: دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ص 195.
[42] ـ المفردات، الراغب الأصفهاني، ص 264.
[43] ـ المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
[44] ـ دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ص 195.
[45] ـ ينظر: نظريات علم الدلالة المعجمي، ص 76.
[46] ـ المفردات، الراغب الأصفهاني، ص 303.
[47] ـ المصدر نفسه والصفحة نفسها.
[48] ـ المصدر نفسه، ص 317.
[49] ـ المصدر نفسه، والصفحة كذلك.
[50] ـ نفسه والصفحة أيضاً.
[51] ـ المصدر نفسه، ص 340.
[52] ـ المصدر نفسه، ص 343.
[53] ـ المصدر نفسه، ص 343.
[54] ـ نظريات علم الدلالة المعجمي، ديرك جيرارتس، ص 218.
[55] ـ المرجع نفسه، ص 243.

**** قائمة المصادر والمراجع:**

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزيّ الكلبي، ضبطه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط: 1، 1995م.
2- تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر/ القاهرة، ط: 1، 2001م.
3- تفسير الطبري، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية/ القاهرة، ط 2، د.ت.
4- تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر/ تونس، 1984م.
5- التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار الفكر، ط: 1، 1981م.
6- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، تر: د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع/ القاهرة، ط 12، د.ت.
7- شرح مشكل الآثار، أبو جعفر الطحاوي، تح: شُعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ط 1/ 1994م.
8- شروح حماسة أبي تمام، دراسة موازنة في مناهجها وتطبيقها، د. محمد عثمان علي، دار الأوزاعي/ لبنان، ط 1، د. ت.
9- كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين، تح: بكري حياني/ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ط5، 1981م.
10- الكلمة دراسة لغوية معجمية، د: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية/ الإسكندرية، 2004م.
11- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر/ بيروت.
12- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحلبي، تح: عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط: 1، 1998م.
13- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنّى، تعليق: د. محمود فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة. د. ت.
14- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: محمد السيد كيلاني، دار المعرفة/ لبنان، د.ت.
15- النص والسياق، فان دايك، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق/ المغرب، 2000م.
16- نظريات علم الدلالة المعجمي، ديرك جيرارتس، تر: د. فاطمة الشهري وآخرين، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي/ القاهرة، ط: 1، 2013م.